الفـلاح النشيـط

كان أبو محمود يحفرُ حفراً عميقةً في تربةٍ حمراء ، ذراتها متناثرةٌ ، رائحتها معطرةٌ كالبخور ، إنها الأرض التي وَطِئَ بقدميه تُرْبتَها السيد المسيح والأنبياء والأتقياء من بني البشر ، وقَدِمَ إليها الفاتحون المسلمون عندما نشروا نور الإسلام في هذه البقعة التي احتضنتهم عندما كانوا يستعدون لمعارك الفتح والتحرير في اليرموك وحطين وعين جالوت وجبل الشيخ .

كان أبو محمود يَغْرِسُ فيها غِراسَ الزيتون المبارك ويضعُ إلىٰ جانب جَذْرِ هذه الغرسَةِ قصبةً مُفْرَغَةً ترتفعُ فوق سطح التربةِ ، ثم يصب فيهـا من إبريقٍ ماءً يسقي جَذْرَهـا ويُرَطّبُ التربةَ كي تنمو جذورَها وتمتدُّ ، لقد سبقَ هذا الفلاحُ ما عرفَهُ المزارعون اليومَ (الرَّيَّ بالتنقيط) وغيرهُ قبل عشرات السنين .

ويكبُرُ الشجرُ ويعطي ثمراً يانعاً أخضرَ وأسودَ ، فيقطُرُ منه الزيت ويكون علىٰ الموائد العامِرةِ شهياً مُغَذّياً وفي القدُورِ طعاماً بارك الله فيه ، وقد انطبقَ علىٰ هذه البلاد قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ

وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وما زال أبو محمود يزرعُ الزيتونَ ويسقيه ، ويكبرُ الشجرُ ويعطي الخيرَ حتىٰ فارق الحياة ، وقد ترك بساتين وكروماً ودوراً عمّرَها بجهدِهِ وعَرَقِهَ وقد انطبقت عليه الحكمة القائلة: «زرعوا فأكلنا ، ونزرع فيأكلون». وداوَمَ علىٰ دَرْبِهِ ومِنْهاجِه الأولادُ والأحفادُ وكانوا مثالاً في الجدِّ والعملِ والإخلاصِ ، اتَّصَفْتَ بها عائِلات القريةِ العالية سكوفيا وفيهم آل فياض وآل رهبان ، وآل خطيب وآل مرعي وآل رحال المحبين للبشرِ والعاشقين للأرض والشجر وطَبْعُهم الإخلاصُ والمحبة والشجاعة.

* * *